إصدارات مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مجلة
كلية الآداب



٢٠٠٣

الاصدارة الثانية

إصدارات مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مجلة كلية الآداب



٢٠٠٣

الاصدارة الثانية

تقدم البحوث وتوجه جميع المراسلات
بأسم الأستاذ الدكتور / وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث
ورئيس تحرير مجلة كلية الأداب - جامعة الإسكندرية
الشــاطبى - الإسـكـندريـة
جمهورية مصر العربية

مجلس إدارة مجلة كلية الآداب



السيد خليفة بن سعيد البوسعيدى

سلطان زنجبار ١٨٨٨-١٨٩٠م

الدكتــــور / بنيان سعود تركي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب – جامعة الكويت

مقدمة :

ارتبط تاريخ زنجبار فى القرون الماضية حتى الستينيات من القرن العشرين بأسـرة البوسعيد، ويعد السيد "سعيد بن سلطان البوسعيدى" سلطان عمان (١٨٠٦-١٨٥٦م) مـن أشـهر حكام الأسرة البوسعيدية، ويعود له الفضل فى تأسيس أول إمبراطورية عربية إفريقية فى التاريخ الحديث، كما نقل مقر حكمه من مسقط على الجانب الأسيوى إلى زنجبار على الجانب الإفريقى.

وقد ترتب على وفاة السيد "سعيد" صراع بين أبنائه. ثم تدخل بريطانى نجح فى تقسيم الإمبراطورية العمانية بين ولديه ، وتولى ثوينى بن سعيد مقاليد الحكم فى مسـقط بيـنما تربع ماجد بن سعيد على عرش زنجبار - سلطنة زنجبار العربية- ويهمنا فى هذا البحث التركيز على سلطنة زنجبار العربية.(١)

لقد تولى السيد "ماجد" حكم السلطنة العربية من ١٨٥٦ حتى ١٨٧٠م. ونجح الإنجليز خلال هذه الفترة فى أن تكون لهم اليد العليا فى إدارة دفة الأمور، وأصبح حكـام زنجبار لا حول لهم ولا قوة، وبوفاة السيد "ماجد" تولى حكم السلطنة العربية السـيد برغش بن سعيد ١٨٧٠-١٨٨٨م، والذى يعد من الحكام البوسعيديين العظام الذيـن تركوا بصمات واضحة تدل على مآثرهم، وقد واجه السيد "برغش" الأطماع الإنجليزية والألمانية في بلاده، ولكنه أدرك ألا قبل له بمواجهة هذه القوى الغربية، والـتى فرضـت شروطها عليه، وأجبرته على توقيع اتفاقية ١٨٨٦م، تلك الاتفاقية التى بموجبها تقاسمت كل من ألمانيا وبريطانيا أملاكه فى شرق إفريقيه.(٢)

وهذه السطور ما هى إلا محاولة لدراسة تاريخ سلطنة زنجبار العربية خلال فـترة حكـم السـيد "خليفة" الذى تولى مقاليد الحكم بعد وفاة شقيقه السيد برغش، مسـلطة الضـوء علـى ظـروف توليه الحكم، ومحاولات القوى الغربية فرض مصـالحها، وأثر ذلك على الأوضاع فى السلطنة العربية. كما سنتناول دور القوى المحلية، وتأثيرها على سير الأحداث.

اختيار السيد خليفة :

دفعـت ظـروف مـرض السـيد برغش بن سعيد بالحكومتين البريطانية

رعاياه لم يشعروا نحوه أبدا "بالرهبة أو الخوف ولا بالاحترام الذي كانوا يبدونه تجاه كل من السيدين برغش وماجد أو والدهما السيد سعيد بن سلطان، بل أن إيان سميث وصف السيد "خليفة" بضعيف الشخصية" و "بالجهل المطبق" وهو وصف لا يعبر بصدق عن شخصية السيد "خليفة" وهو ما سنبينه لاحقا ، وقد ذهب "سميث" أكثر من ذلك عندما أشار إلى أنه لا يتوقع أن يبدى السيد خليفة كثيراً "من المقاومة للمشاريع التى كانت قائمه على قدم وساق "آنذاك لاستغلال ما تبقى من أملاكه الأصلية"(١١). وللأمانة نقول بأن السيد "خليفة" كما سنوضح لاحقا عمل جهده للحد من تدخل القناصل الأجانب، ولكنه لم يكن مهيئا لا من ناحية الرجال أو العتاد للوقوف أمام القوى الغربية التى أخذت تتكالب على سلطنته.

إن ما أشرنا إليه من آراء أبداها إيان سميث تجاه السيد "خليفة" سوف ندركها لاحقا عندما نتحدث عن العداء بين الاثنين، ولكن لابد من الإشارة هنا إلى أن أحد المسؤولين الأمريكيين المعاصرين لتلك الفترة وصف السيد "خليفة" بصفات لا تتوافق مع ما ذكره "سميث" قائلاً : إن السيد "خليفة" ببساطه "حاكم نبيل وعادل" ، كما يرى "بينت" Bennett أن السيد "خليفة" دافع عن مصالح رعاياه العرب، وإنه لا يقل شأنا عن سلاطين زنجبار الآخرين المعروفين .(١٢)

لقد كان هدف ألمانيا وبريطانيا توليه حاكم لا حول له ولا قوة وبعيد عن مجريات الأحداث العالمية، أو كما أشار إيان سميث القنصل البريطانى فى زنجبار (١٨٨٨-١٨٩١م) بأن السيد خليفة لا يدرك ما حوله عدا زنجبار، وقد كان لعزلته التى فرضت عليه أثرها فى هذا وفى جعله يفقد الثقة بمن حوله، مما سوف يكون له دوره فى تسهيل مهمة الحكومتين البريطانية والألمانية، وهذا يعنى أيضا أن المصالح الأجنبية لعبت دورها فى فرض ذلك التعيين بل ودعمه.

السيد خليفة سلطانا على زنجبار:

بعد وفاة السيد "برغش" والتى كانت فى السابع والعشرين من فبراير عام ١٨٨٨م، وبناء على التعليمات المسبقة قام إيان سميث القنصل البريطانى بإبلاغ السيد خليفة بن سعيد باختياره من قبل الحكومتين البريطانية والألمانية كسلطان على زنجبار، وفقاً لشروط محددة وافق السيد عليها دون تردد، والمتمثلة في

المصـــادقة علي الامتيازين الممنوحين من قبل السيد برغش للشركتين الأوربيتين : البريطانـــية والألمانـــية (انظر المكاسب البريطانية والألمانية) ومما لاشك فيه أن موافقـــة السيد "خليفة" السريعة والحاسمة مع تلك الشروط تبين رغبته فى التخلص مـــن عزلـــته، وتـــبوئه مكانــــة قدمـــت له على طبق من ذهب، ناهيك عن أنه رد لاعتباره. ومن الممكن الإضافة أن السيد "خليفة" لم يكن يتوقع عملية اختياره، وكما يذكر "لين" Lyne : كان الإعلان فى البداية صدمة له، ومن ثم تمالك نفسه وطلب إلى أيان سميث أن يخدمه كما خدم شقيقه السيد "برغش".(٦٣)

قام "سميث" أيضاً بإبلاغ السيد على بن سعيد، وهو الابن الثامن عشر للسيد سعيد وأحد أبرز المتطلعين لحكم زنجبار بتعيين السيد "خليفة" سلطاناً على زنجبار، أمـــا الأمـــير خـــالد بن برغش أحد المتلهفين على حكم زنجبار فقد انشغل بترتيب جنازة والده السيد برغش، ولهذا لم يحضر حفل تنصيب عمه السيد خليفة.

ومن الممكن أن يفسر عدم حضوره بأنه غير راض عن اختيار عمه السيد خلـــيفة لاعتقاده بأنه أحق من عمه فى تولى حكم زنجبار كخليفة لوالده، ومع ذلك فإنـــه مـــن الملاحـــظ أنه لم يبد معارضة لذلك الاختيار مفسحا المجال لعمه، لعل وعســـى أن يأتى الدور عليه، وهو ما لم يتحقق. ومن المحتمل أيضاً "تبرير تجاهل الأمير خالد أنه لم يكن مهيئاً" لا من ناحية السن ولا من ناحية الأنصار والمؤيدين. لهذا فضل عدم إثارة المشاكل لنفسه.(٦٤)

ادعاءات أيان سميث :

تولـــى الســـيد خلـــيفة مقالـــيد الحكـــم فـــى زنجبار يوم الجمعة ١٧ رجب عام ١٣٠٥هــ الموافق ٣٠ مارس ١٨٨٨م. ولم يترتب على تعيين السيد خليفة أية أحـــداث تمـــس بالأمن العام على الإطلاق سواء فى جزيرة زنجبار، أو فى جزيرة بمـــبا، مع هذا فإننا نجد أيان سميث يتباهى بأنه عمل ما بوسعه على عدم الظهور عند تنصيب السيد خليفة.

كمـــا أشار إلى أنه سعى أثناء عملية التنصيب لإعطاء الانطباع بأن اختيار الســـيد خلـــيفة كان اختيار العرب، ولا دور للإدارة البريطانية فيه، ومع ذلك فإنه

يعود ويقول إن العرب كانوا على قناعة بأن تعيين السيد خليفة إنما يعود إلى حسن نـية الحكومتيـن البريطانية والألمانية ورغبتهما، وقد ذهب "سميث" فيما ذكره إلى أبعد من ذلك عندما أشار إلى أن أى اعتراض على اختيار السيد "خليفة" حتى على فرض إمكانيته سوف يكون دون جدوى.(١٥)

إن رد "سميث" المتعالى وعدم الالتفات للرأى الآخر لم يأت من فراغ، وإنما يستند إلى أن قائد جنود السلطان هو الجنرال لويد ماثيوس الضابط البريطانى الذى سـيعين لاحقـا وزيـراً للدولة البريطانية فى زنجبار. مما يولد الانطباع باحتمالية استخدام القوة لفرض التعيين.(١٦)

أهالى بمبا :

طالـب أهالى الجزيرة الخضراء -بمبا- من السيد خليفة برفع الضريبة التى فرضـها السـيد بـرغش علـى القرنفل، عصب الاقتصاد الوطنى، وهى ضريبة اعتـبرها الأهـالى فادحـة، وقد وعدهم السيد خليفة بتخفيض تلك العشور. إلا أن وزارءه لـم ينصحـوه بهـذا التخفيض لضرورات اقتصادية(١٧). وقد تراجع السيد "خلـيفة" عـن التخفيضات ، مما ولد استياء لدى ملاك الاقطاعيات الزراعية، ومع ذلك ونتيجة للمصالح المشتركة تراجع الملاك عن المضى قدما فى مطالبهم.

المكاسب الإيطالية :

وكما حاولت ألمانيا وبريطانيا فرض نفوذهما، فقد عملت ايطاليا على تحقيق الغـرض ذاتـه، إذ أنـنا نجد القنصل الإيطالى (فيلوناردى Filonardi) يلجأ إلى الدبلوماسـية تـارة ، وتـارة أخرى إلى القوة، للحصول على تنازلات من سلطان زنجـبار، وقـد قـام القنصـل الإيطالى بالكتابة إلى السيد "خليفة" فى ١٥ مايو، عام ١٨٨٨م يبلغه بأنه تم تكليفه من ملك إيطاليا بحمل رسالة إليه.

وكانت إيطاليا تأمل من خلال محاولتها تلك إغلاق المنافذ التجارية الحبشية، لإرغـام ملوكهـا على الخضوع، ومن ثم تحقيق الأطماع الإيطالية للسيطرة على قسمايو وساحل البنادر، ولم يرد السيد "خليفة" على رسالة القنصل الإيطالى، والذي

أغضبه عدم الرد ، والذى دفعه لإبلاغ أيان سميث بأن السيد "خليفة" – بعدم رده – تعمد إظهار عدم التقدير لملك ايطاليا، ودفع بالاقتراح على السيد "خليفة" لاسترضاء الحكومة الإيطالية التنازل عن ولاية قسمايو.[١٨]

أبلـــغ السـيد "خلـيفة" أيان سميث – عندما أثار الأخير الموضوع – أسفه، مـبرراً التأخر فى الرد بأن الشهر هو شهر رمضان الكريم، ولهذا انشغل بواجباته الدينـية، وحاول جاهداً ألا يعطى للتأخير سبباً آخر، كما أشار السيد خليفة إلى أن القنصل الإيطالي لم يبعث له بطلب استعجال، ومن ثم أشار السيد خليفة إلى رغبته فـى بعـث رسالة إلى ملك إيطاليا يبرر فيها سبب التأخير، ويبدى أسفه لما حصل مبيناً "أنه تأخير". غير مقصود.[١٩]

وقـد ترتب على تسليم القنصل الإيطالى هذه الرسالة أن التمس من الجنرال ماثـيوس Mathews ألا يقوم بإرسال الكتاب، لأن مثل هذا العمل من الممكن أن يفسـر العديد من الأمور، أدرك كل من ماثيوس وايان سميث أن الموضوع بأكمله من نسج خيال القنصل الإيطالى، الذى طلب عدم إرسال ذلك الكتاب.

أعاد القنصل الايطالى الكرة مرة أخرى، فى ٥ يونيو – عندما طلب القنصل الإيطـالى من السيد خليفة أن يتنازل عن ولاية قسمايو، على أن يكون تنازلاً غير مشروط، وقد رفض السيد خليفة الفكرة، أو مناقشتها. وقد أثار رده غضب القنصل الإيطـالى، مما دفع الأخير فى اليوم التالى إلى إنزال العلم الإيطالى من على مبنى القنصلية ، وتوقف عن الاتصال بالسيد خليفة.

أثار التصرف الإيطالى تخوف كل من ألمانيا وبريطانيا، وعملتا على تهدئة الوضـع، وكـان "بسمارك" Bismarck المستشار الألمانى قد أرسل إلى القنصل الألمـانى فـى زنجبار على أن يعمل على تهدئة الوضع، لأن إضعاف السيد خليفة يؤثـر علـى المصـالح الاستعمارية الألمانية فى شرق إفريقيا، ولقد لعب السفير الألمـانى والـبريطانى دورهمـا فى توضيح أن استخدام القوة الإيطالية ضد السيد خلـيفة سـوف يترتـب عليه موقف، "بريطانى ألمانى" معارض"[٢٠]، وهكذا نجح الأسـلوب الدبلوماسـى فى جعل إيطاليا تعيد النظر فى موقفها، وهو ما تم بالفعل، ولهذا أوقفت ايطاليا أطماعها مؤقتا، على أمل أن تتحين فرصة أخرى.

المكاسب البريطانية :

حالف الإدارة البريطانية النجاح فى سلطنة زنجبار، إذ تم وضع الجنرال ماثيوس على رأس الأمور الإدارية للسلطنة، كما كلف بإنشاء جيش زنجبارى يكون تحت إمرته ويساعده ضباط إنجليز، وليس هذا فحسب، وإنما نجد أن جمعية إفريقية الشرقية قد منحها السيد برغش امتياز إدارة أجزاء من الأراضى الساحلية الواقعة بين "اومبا" و"تانا" مقابل مبلغ سنوى يحصل عليه السيد خليفة، ويكون معادلاً للضرائب الجمركية التى كان يحصل عليها من تلك المنطقة، ولم يمهل القدر السيد برغش لتوقيع الاتفاق، ولهذا كان على السيد "خليفة" تكملة المهمة.(٢١)

وبالفعل قام السيد خليفة بن سعيد بمنحها حق إدارة واستغلال معظم ممتلكاته فى شرق إفريقيا، وتغير اسم الشركة وأصبحت تسمى باسم "شركة شرق إفريقية الامبراطورية البريطانية" Imperial British East Africa Company. وكانت شركة شرق افريقية الأمبراطورية التى أخذت تعمل على توسيع قاعدة النفوذ البريطانى قد صدر بها مرسوم من التاج البريطانى، وأصبح السير وليم ماكنون William Mackinnon رئيسا لمجلس إدارتها، ولورد براس Lord Brassey نائبه. وكان من بين مدراء الشركة السير توماس فاول باكستون Thomas Fowell Buxton، والسير جون كيرك John Kirk. وأقامت شركة إفريقية الشرقية الإمبراطورية البريطانية مراكزها الرئيسية فى ممباسة، وأتخذت العديد من الخطوات لضمان احتلال الداخل احتلالا فعليا(٢٢).

وكان السيد "جورج ماكنزى" George Mackenzie مدير الشركة، قد قام فى الأول من أكتوبر بزيارة إلى زنجبار، وكان يهدف إلى الحصول من السيد خليفة على توقيع الامتياز. وقد قام أيان سميث فى ٦ أكتوبر ١٨٨٨م، وفى اجتماع رسمى مع بعض المتنفذين العرب (تجار وملاك الإقطاعيات الزراعية والوجهاء) بتوضيح ماهية الامتياز، وأهميته، موضحا أن الشركة لن تمس سلطة السيد خليفة، ومكانته، ولن تتدخل في شؤونها ، وموضحاً أن كل ما سيتغير لا يتعدى رفع علم الشركة فى الداخل فى ما وراء الشريط السلطانى الساحلى، الذى سوف يستمر قضاته فى أداء واجباتهم.

كما عمل السيد خليفه على نقل سلطاته على المنطقة الساحلية إلى الشركة،

فـــى مقابل أن تصدر إداراتها باسمه وشعاره، كما منح الشركة حق جمع الضرائب وتنظـيم الـتجارة وتعييـن الموظفيـن الإداريـين، وقد ترتب على تلك الخدمات والتسهيلات أن الحكومتين البريطانية والألمانية حققتا ما خططتا له. (٢٣)

المكاسب الألمانية :

تمكـن الألمـان بعد شهرين من تولى السيد خليفة مقاليد الحكم فى زنجبار – وباسـتخدام أسلوب الضغط – من إنهاء مفاوضاتهم معه. ووقع الاتفاق فى الثامن والعشـرين من أبريل عام ١٨٨٨م. وينص الاتفاق على منح شركة إفريقيا الشرقية الألمانـية الشـريط الساحلى الممتد من "أومبا" إلى "رفوما". ومن الملاحظ أن هذا المـنح والامتـياز، يكـاد لا يخـتلف عـن ذلك الذى منح لشركة إفريقية الشرقية الامبراطورية البريطانية.

وفـى السادس عشر من أغسطس ١٨٨٨م، تم نقل السلطة رسمياً إلى الشركة، ولا نبالغ إن قلنا أنه لم تمض سوى أيام معدودة حتى قامت ثورة فى الساحل ضد الوجود الألمانى. (٢٤)

السيد خليفة والثورة على الساحل :

تعاطف السيد خليفة مع الثورة التى قامت فى الساحل الشرقى لأفريقية. تلك الـثورة الـتى تـزعمها البشير بن سالم الحارثى ضد الهيمنة والتسلط الألمانى فى "بجـامويو" و"بنغانى"، ومن المعروف أن من الأسباب التى عجلت بقيام هذه الثورة مـا اتسم به مسلك الموظفين الألمان من شدة وفظاعة، وسرعان ما انتشرت نيران هـذه الـثورة فـى السـاحل الشرقى الخاضع للنفوذ الألمانى، وقد قتل جماعة من المبشـرين الألمـان، وعم الفزع فى إنجلترا، خوفاً على حياة المبشرين الإنجليز. وليس المجال هنا لتناول هذه الحركة وإنما ارتباطها بالسيد خليفة.

وكـان السـيد خليفة قد قدم مساعدات، ومعونات للثوار، وقدم لهم السلاح، والغـذاء نكايـة بالإنجلـيز والألمـان، وأغضب هذا الموقف من الثورة "سميث" والحكومـة البريطانـية فى لندن، مما أجبر بريطانيا على الاشتراك مع ألمانيا فى فـرض حصار على الساحل الشرقى لافريقيا، متذرعة بمنع تصدير العبيد. ووقف

استيراد الأسلحة. (٢٥)

ومن المعروف أن بريطانيا استغلت سياسة محاربة الرق، وتجارة الرقيق، للتدخل فى الشؤون الداخلية لسلطنة زنجبار العربية، كما أن سياسة محاربة بيع وشراء الأسلحة، لا تختلف فى أهدافها عن تلك التى طبقت ضد الرق وتجارة الرقيق، وحتى لا تصل الأسلحة إلى أيدى الوطنيين.

وقد وافق "الماركيز سالزبرى" Marques Salibury على اقتراح "بسمارك" الزعيم الألمانى الذي يقضي بالحصار المشترك للساحل الشرقى لإفريقية، والذى بدا فعليا فى ٢ ديسمبر ١٨٨٨م، ولم يكد يبدأ الحصار حتى خرج السيد "خليفة" من عزلته(٢٦)، وقد حاول السيد خليفة فى البداية أن يبين أن الأهالى الذين قاموا بهذه الثورة أحرار وأنهم ليسوا عبيدا لأحد، وموضحا أن الألمان أعطوا الموانى لاستغلالها، ولكنهم أساءوا معاملة الأهالى، ولم يبد السيد خليفة أى استعداد لاستخدام القوة ضد الثوار ، رغم مطالبة ألمانيا له للقيام بهذا العمل. (٢٧)

اتفاقية ١٨٨٩م :

استغلت ألمانيا إمكانياتها العسكرية وتمكنت بعد جهد جهيد من القضاء على الثورة والقبض على زعيمها وإعدامه، وقد لعبت بريطانيا دورها فى مساعدة ألمانيا فى صراعها مع الثوار، وقد ترتب على النجاح البريطانى الألمانى فى القضاء على ثورة الساحل رفع الحصار عن الساحل الشرقى لإفريقية، وكان المقابل جراء إصدار جديد ضد تجارة الرقيق، وهو ما تم بالفعل. وقام السيد "خليفة" بتوقيع اتفاق فى سبتمبر ١٨٨٩م، وينص هذا الاتفاق على تخويل كل من بريطانيا وألمانيا الحق فى تفتيش المراكب العربية فى مياه زنجبار بحثا عن الأرقاء، كما تم التعهد على اعتبار كل أبناء العبيد الذين يولدون بعد الأول من يناير ١٨٩٠م أحراراً(٢٨).

ولقد أشار أيان سميث بأن السيد خليفة قبل إعطاء تعهده، ذكر أن الحصار لم يؤثر على العرب، بل إنه كان أكثر تأثيراً على الهنود – والذين يعدون حسب وجهة النظر البريطانية من رعايا بريطانيا –، وقد أوضح السيد خليفة أن الهنود هم الأكثر تعرضا للخسارة نتيجة لتوقف التجارة، ومن الممكن أن أضيف أن بعض

التجار الهنود يعدون الممولين لتجارة الرقيق فى أجزاء عديدة من شرق إفريقيا. كما تناول "سميث" أن السيد "خليفة" يعتقد أن رجال البحرية من الضباط الإنجليز والألمان الأكثر تضررا نتيجة للإرهاق من مطاردة السفن الشراعية، كما أوضح "سميث" أن العرب يعتقدون أن السيد خليفة وقع الاتفاق تحت ضغط كل من بريطانيا وألمانيا موضحاً أن تجاهل العرب لهذا القانون يعبر عن الرغبة الخفية للسيد خليفة[٢٩].

العداء بين السيد خليفة والقنصل البريطانى :

توترت العلاقة بين السيد خليفة والقنصل البريطانى، وكذلك بينه وبين القناصل الأجانب بسبب تدخلهم العلنى فى شؤون دولته الداخلية، وقد أشار أيان سميث فى رسالة إلى الماركيز سالزبرى، رئيس الوزراء البريطانى فى الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٨٩م، أن سلطنة زنجبار بسبب التدخل الأوروبى الواضح وضعف السلطنة فى عهد السيد خليفة قد اهتزت من أساسها، وهى إشارة أراد من خلالها أيان سميث إعطاء انطباع ذي مغزى عن السيد خليفة لدى الإدارة البريطانية.

كما قارن "سميث" بين حكم السيد "برغش" والسيد "خليفة" مبينا "أن حكم السيد برغش كان حكماً قوياً." "بينما اعتبر عهد السيد خليفة بأنه، "غاية فى الضعف". ومن المرجح أن ما أشار إليه "سميث" فيه جزء من الحقيقة ، إلا أن الحقيقة تكمن فى محاولة ايان سميث التقليل من شأن السيد خليفة لدى الحكومة البريطانية[٣٠]، ولعل السبب وراء ذلك يكمن فى كراهية السيد خليفة للإنجليز. ومن المعروف أن علاقة السيد خليفة بالقنصل البريطانى فى حقيقتها تنم عن العداء الشخصى بينهما، ومن الممكن إضافة كراهية السيد خليفة للإنجليز بشكل عام، وكرهه الشديد لايان سميث ومثيوس بشكل خاص، ويعود ذلك لتدخلهم المباشر فى شؤون مملكته الداخلية، مما ترتب عليه الطلب من الحكومة البريطانية عدم التجديد لسميث"، بل إنه تجاوز ذلك واعتبر "سميث" عدوه "[٣١].

" كان السيد خليفة بن سعيد كما يذكر "المغيرى" من أشد السلاطين كرها للأوربيين" بل إنه كان لايسمح للنصارى المبيت فى بلدة زنجبار، ويمنعهم من أن

يـبقوا عند غروب الشمس وكان لهذا دوره الفعال فى معاملة السكان المحليين تجاه الأوروبييـن مـن الاحترام والتقدير فى عهد السيد "برغش" إلى الازدراء فى عهد السيد "خليفة".(٣٢)

ويذكـر أنه فى عام ١٨٨٩م تنامى الشعور العدائى تجاه الأوربيين وازدادت وتـيرة الهجمات ضد البحارة الإنجليز والألمان فى شوارع زنجبار، وقد أشير إلى أنـه عند عيد النيروز – وهو أحد الأعياد التى يحتفل بها فى زنجبار – قام جيرالد بورتـال Gerald Portal ، القـائم بأعمال القنصل البريطانى، بعمل حراسة ليلية لـبعض الشوارع خوفاً من تعرض الأهالى للبحارة بسوء، كما قام القائم بالأعمال بعـدم منح تصاريح للبحارة للنزول إلى الشاطئ، وخلافا لما توقعه القائم بالأعمال، فقـد تـم الاحـتفال دون أية حوادث تذكر(٣٣). وحقق النجاح الأوربى الذي فرضه الأمـر الواقع وعزلة السيد خليفة بن سعيد تأثيرهما، فقد ترتب عليه عدم ثقة السيد "خـليفة" بمـن حولـه سـواء بأخيه السيد "على" أو المتنفذين العرب، أو القناصل الأجانب بما فيهم القنصل البريطانى .

السيد خليفة والإعدامات :

عـاد السيد "خليفة" من الريف إلى قصره فى ١٧ ديسمبر ١٨٨٨م بعد عزلة استمرت خمسة أسابيع، وكان السيد "خليفة" بعد توليه الحكم يتردد بشكل يومى على قصـر بيـت العجائب، ومكث فى عزلته فى مكان يقال له ماليندى فى بيت السيدة "مـوزة بنـت حمـد بن سالم بن سلطان"، والتقى السيد خليفة بن سعيد بعد عودته بـتعديد مـن العـرب فـى مجلسه. ويصف "سميث" اللقاء بأنه لم يكن وديا تجاه المتنفذيـن العـرب، ومعاديا بشكل خاص لشقيقه السيد "على". وهنا لابد من إعادة التأكـيد علـى سوء العلاقة بين القنصل البريطانى والسيد "خليفة"، ومحاولة الأول بالإيحـاء للعرب تارة، وللإدارة البريطانية تارة أخرى بالعداء بين المتنفذين العرب وسـلطانهم و مسـتغلا موقعه السياسى، ومع كل ذلك فالسيد "على" من الطامحين للحكـم ،وجد ضالته فى القنصل البريطانى، وفى نفس الوقت هناك بعض المتنفذين العرب الذين ترتبط مصالحهم مع مصالح المستعمر.

ويكمل "سميث" بقوله أنه بعد مقابلة مطولة مع السيد "على" أرسل له السيد "على" رسالة يوضح فيها أن شقيقه السيد "خليفة" تغير بشكل تام للأسوأ، وأنه أصبح تحت تأثير مستشارين سيئين، والذين يؤكد أنهم فعلياً يديرون الأمور، وأنه لم يعد يثق بشقيقه.

وفى اليوم التالى ١٨ ديسمبر ١٨٨٨م، فى اجتماع عام أشار السيد خليفة بن سعيد إلى أنه قرر أن يحكم، وأن يثبت أنه ليس عاجزاً، وعزم على استعمال ما يعتقد أنه حق مارسه أسلافه، وهو الإعدام على من يراه يستحق ذلك، وقد بين أنه لا يسترشد فى هذا الأمر إلا بالقرآن الكريم، وبالفعل نفذ حكم الإعدام فى أربعة من الأرقاء المساجين فى القلعة، والمحكمين بتهم قتل لم يجرى التحقيق فيها، كما تلت ذلك محاولة تنفيذ حكم الإعدام فى ٢٥ سجينا آخر.

وقد أشار "سميث" إلى أنه لم يعلم بالأمر إلا بعد إعدام الأربعة، كما وصف فى تقريره الطريقة البشعة التى نفذت بها تلك الإعدامات، كما ذكر أن تلك الإعدامات كانت تتم دون محاكمة، مما استدعى تدخله لإيقاف هذا المسلسل الدموى، وقد احتج القنصل البريطانى بشكل أوضح على الإعدامات وموضحا أنه بتدخله هذا لا يقصد التدخل فى الشؤون الداخلية لزنجبار وإنما إسداء النصيحة، وحاول السيد خليفة أن يوضح موقفه بأن الذين أعدموا هم من القتلة الذين كانوا يقبعون فى السجن، كما أثنى على نصيحة "سميث".(٣٤)

لم يشر القنصل البريطانى فى مراسلاته مع الماركيز سالزبرى عن أحد أهم الأسباب التى دعته للتدخل من أجل إنقاذ السجناء الموضوعين على قائمة الإعدامات، والمتمثل فى وجود أحد الهنود من رعايا بريطانيا بينهم متهما بجريمة قتل، وقد دفع هذا ببعض المتنفذين الهنود للضغط على القنصل البريطانى للتدخل لانقاذ حياته، وهو ما تم فعليا، وطالب القنصل البريطانى بوقف الإعدامات فورا.(٣٥)

وقد أبلغه السيد "خليفة" فى اليوم التالى وقف الإعدامات، وقد حاول القنصل البريطانى أن يبرر تصرفه بأنه ليس تدخلاً فى الشؤون الداخلية لزنجبار، وإنما لمنع تنفيذ أحكام على أشخاص دون محاكمتهم المحاكمة اللائقة أو العادلة، كما أثار

"سميث" العديد من وجهات النظر المختلفة سواء تلك التى أبداها له المتنفذين العرب أو السيد "على" حول تصرف شقيقه، ومبدين إنزعاجهم مما طرأ على السيد "خليفة" من تغيرات فى تصرفاته.

وقد أشار أيان سميث فى رسالة له إلى الماركيز سالزبرى حول الإعدامات بأن السيد "خليفة" قام فى ٢٠ ديسمبر بإعدام أربعة سجناء، كما وضع فى سجن القلعة موثقا بالحديد الابن الأكبر لأحد أهم زعماء قبيلة الحارث العربية، بحجة إنه لم يقم بتحيته، وقد نجح والد الشاب فى إطلاق سراح ابنه بعد مقابلته للسيد خليفة، ومطالبته الإفراج عنه .(٣٦)

جاء الرد فى اليوم نفسه من الماركيز سالزبرى لإيان سميث واضحا لا لبس فيه، وداعماً لجهوده، بأن عليه أن يحتج وبقوة على ما قام به السلطان من إعدامات واعتقال، وليس هذا فحسب وإنما أصر على أن تجاهل السيد خليفة بن سعيد لمطالب القنصل البريطانى سوف يترتب عليه عواقب وخيمة، دون تحديد لماهية تلك العواقب، كما أضاف أن على القنصل البريطانى التعاون مع قناصل كل من ألمانيا وفرنسا للضغط على السلطان لإقناعه بعدم تكرار ما حدث، وقد أشار "سميث" إلى أن القنصل الفرنسى أبلغه فى ٢١ ديسمبر، دعمه ومؤازرته .(٣٧)

وفى ٢٢ ديسمبر ، قابل القنصل البريطانى ونائبه "بيركلى" Birackly السيد خليفة بن سعيد، وقد رفض الأخير مشاركة أى من الزعماء العرب، وفى الاجتماع أوضح القنصل موقف الحكومة البريطانية والنتائج الوخيمة فى حالة عدم إذعانه، وقد خرج القنصل بانطباع جيد عما دار فى اللقاء، حيث أبدى السيد خليفة تفهمه لموقف الحكومة البريطانية، وأنه سوف يعمل بنصائحها، وأبدى أسفه لاستعجاله بتنفيذ الإعدامات، دون استشارة القنصل البريطانى.

كما أشار القنصل إلى أنه أثار مع السيد خليفة العلاقات المتأزمة بينهما، وإن كان لديه أية شكوى ضد القنصل إلا أن السيد خليفة رد بأنه ليس لديه أية شكوى ضده. كما تناول القنصل الشائعات حول سوء علاقة السيد بالمتنفذين العرب، وكذلك تأثير مستشاريه "محمد باقشم الحضرمى" و"بيرادفجى البانيانى" Pira Devji . مما دفع السيد "خليفة" إلى تذكير القنصل بأنه خلال السنوات لخمس

التى قضاها فى السجن لم يقم أحد من العرب لا قولا ولا عملا بالدفاع عنه أو حتى السؤال عنه، ومع ذلك فإن علاقته بـ المتنفذين العرب يسودها التفاهم، أما فيما يتعلق بمستشاريه فأوضح السيد "خليفة" بأنه "المسئول عن قراراته".[٣٨]

وفــى رسالة سرية بعثها أيان سميث فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٨م، إلى الماركيز سـالزبرى أشـار فـيها إلــى العديد من القضايا، وختمها بقوله بأن على الحكومة البريطانية أن تهتم بالنقطتين التاليتين :

أولاً : أن القنصـل الـبريطانى لـم يحصـل خلال هذه الأزمة على دعم ومساندة القنصـل الألمانى، ومن الممكن أن يترتب عليه أمور لا تحمد عقباها، ولهذا طالـب القنصل وزارة الخارجية بالعمل على أن تكون قرارات السيد "خليفة"، وإجراءاته فى المستقبل تتوافق مع نصائح وأمانى حكومة جلالة الملكة.

ثانـياً: فالأمر يتعلق "ببيرا دفجى"، الذى أشار إليه بأنه شخص وضيع، ولكنه ذكى جـدا، وأن وجوده بالقرب من السيد "خليفة" لا يخدم المصالح البريطانية، كما أوضح أنه يتمتع بالحماية البريطانية كونه من مواطنى الهند، واقترح القنصل أن الـتعامل معه يجب أن يتم بإحدى الوسائل التالية أولاً: إما الطلب من السيد خلـيفة بن سعيد بطريقة ودية بوقفه عن خدمته، من ثم إبعاده عن زنجبار أو ثانيا: بإعطاء القنصل الصلاحية للقيام بطرده[٣٩].

كــان واضحا "أن السيد خليفة قد اتخذ موقفا" من أخيه السيد على والمتنفذين العــرب بسـبب قناعـته بأنهم لم يعيروه التفاتا" أثناء فترة احتجازه الإجبارية، ولم يعملوا على إخراجه من محنته، وقد استفاد "سميث" من موقف السيد خليفة هذا عن طـريق تبـنى سياسـة "فرق تسد بين" السيد خليفة وأخيه السيد "على" والمتنفذين العرب.

كمـا عمل سميث سراً على تأييد السيد "على" ومؤيديه لإبعاد أو عزل السيد "خلـيفة" ، كما شجع "سميث" المتنفذين العرب وتأليبهم على السيد "خليفة" بالإدعاء بأن مستشاريه السيدين "ببيرا دافجى" البانيانى" ومحمد باقشم "الحضرمى" يعدان من غـير المؤهليـن أو المعروفيـن . كمـا أشار بأنهم يعملون على حماية مصالحهم الخاصـة دون اكتراث لمصلحة السلطنة أو السلطان.[٤٠] ومن المعروف أن السيد

خليفة بن سعيد قضى فترة أطول فى قصره الريفى نتيجة للضغوطات التى تمارس عليه من قبل القنصلين البريطانى والألمانى، ولهذا يفضل الريف على المدينة، وخوفاً من أن معارضته وتحديه للقنصلين من الممكن أن تكلفه حكمه، لهذا نجده يعتمد على مستشاريه "محمد باقشم وبيرادفجى" بشكل كبير لتصريف الكثير من الأمور. (٤١)

وهنا لابد من الإشارة إلى أن كلا من السيدين "دفجى" و "باقشم" عرف عنهما معارضتهما للتدخل البريطانى فى الشؤون الداخلية لزنجبار، كما شجعا السيد خليفة بن سعيد على الحد من نفوذ القنصل البريطانى، وكانا يضعان نصب أعينهما حماية مصلحة السلطان. ولكن هذا ما لا تراه الإدارة البريطانية فى زنجبار. وكان لسان حالها يقول من ليس مع المصلحة البريطانية العليا فهو من المغضوب عليه، وهو الأمر الذى سوف تثبته الأيام.

كما لابد من الإشارة إلى أن كلا المستشارين يعدان من التجار فى زنجبار، ولهما أملاك ومصالح واسعة، وكلاهما كان يرى أن الوجود البريطانى والأوربى بشكل عام يهدد المصالح التجارية للعرب والهنود. ولهذا اتخذا موقفيهما. ومن المفارقات أن إحدهما هندى من البانيان والآخر مسلم حضرمى. فلاعجب أن بعض الكتابات الغربية أو القناصل الأجانب الذين نعتوهم بالكثير من النعوت، ولك أن تتخيل مثل تلك النعوت السيئة وعلى سبيل المثال لا الحصر (كان السيد خليفه له اثنان من أخصائه يمحضانه المشورة الضارة فيعمل بها) (أما أحدهما فاسمه باقشم متآمر عجوز لكل نفوذ أوربى وأما الآخر فاسمه بيرادفجى وهو خادم هندوكى وضيع).

ويحاول القناصل أن يجعلوا من السلاطين أداه طيعه لتنفيذ مصالحهم ومصالح دولهم، وما إن تتعارض تلك المصالح حتى يبدؤوا بنعت السلطان ومستشاريه بنعوت مستهجنه، كما سرت إشاعات أن بيرا دفجى له علاقات مع الألمان، وليس هذا فحسب بل إنه سأل عن إمكانية أن يصبح من رعايا ألمانيا. ولك أن تتخيل تأثير ذلك على القنصل البريطانى.

وكان مما أثار إمتعاض أيان سميث أن السيد "خليفة" يفضى إلى مستشاريه بالمسائل ذات الطابع السرى التى يبحثها معه فى القصر، وكان كل من "باقشم"

و"بيرا دفجى" يحثان السيد خليفة على إبداء وجهة نظره ومناقشة القنصل البريطانى و"وعلى نقض عهوده التى التزم بها للقنصل العام" وخاصة تلك التى تتعارض ومصالح السلطان ورعاياه.(٤٢)

وقد ترتب على اعتماد السلطان "خليفة" على مستشاريه اللذين كان القنصل البريطانى يطلق عليهما "نديمين وضيعين" إلى إثارة الكراهية العميقة ضده عند الكثير من زعماء العرب حسب الادعاء البريطانى، بل أن الأمر تعدى حدود المجاهرة بمعاملتهم معاملة تنطوى على الشك فيهم وإهماله النظر فى القضايا التى يرفعونها إلى الحد من حرمانهم مما ألفوه من مظاهر التشريف والامتيازات.(٤٣) وسوف نرى لاحقا كيف تعاونت الإدارة البريطانية و الألمانية للتخلص من مستشارى السيد "خليفة".

لقد كان لدى السيد "خليفة" صديقان مقربان له وكانا لا يفارقانه وهما "سالم بن خلفان" و "سليم بن خميس" وكان لهما تأثير عليه، ومع ذلك لم يشر لهما القنصل البريطانى ولم ينعتهما بأية صفة، بل ركز على "باقشم" و"بيرا دفجى" لما يمثلانه من خطر حسب وجهة النظر البريطانية على المصالح البريطانية والأوربية.

التهديد بعزل السيد خليفة:

إن تشجيع "سميث" لسيد "على" يوضح بجلاء تباين المصالح بين أبناء البيت البوسعيدى والصراع على السلطة ومحاولة كل طرف استغلال الظروف لصالحه. وكان السيد "على" وأنصاره ميالين للنفوذ البريطانى وعملوا على ألا تقع زنجبار فى يد ألمانيا خاصة. وإن الأخيرة أخذت تتطلع لبسط نفوذها على زنجبار، ومن المعروف أن زنجبار تعد وبحق نقطة الانطلاق البريطانية لبسط هيمنتها فى شرق إفريقية. كما كان السيد "على" من المؤيدين للسياسة البريطانية فيما يتعلق بإلغاء تجارة الرقيق.(٤٤)

وفى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٨٨٩م قام – وبتشجيع من "سميث" ومباركته – مجموعة من زعماء العرب وعلى رأسهم السيد "على" وعمه "حامد بن سليمان" و"محمد بن أحمد"، وثلاثة عشر عربياً من المتنفذين بتقديم عريضة موقعة ضد السيد خليفة بن سعيد ومستشاريه "بيرا دفجى"، و"باقشم" وتتمثل مطالبهم جميعاً فيما يلى:

أولاً: طالبوا "سميث" أن يرفع إلى الحكومة البريطانية شكواهم ومخاوفهم من تدمير وخراب السلطنة على يد السيد "خليفة"، موضحين تسلط مستشاريه وتأثيرهم على قراراته "تسلط مستشاريه الشريرين عليه". وأكدوا استعدادهم لوضع أنفسهم تحت تصرف الحكومة البريطانية لتقوم حسب إدعاءهم "ما فيه لصالحنا"، مما يعنى إبعاد مستشاريه الذين نظر لهم من قبل الموقعين على أنهم ضد مصالح طبقة المتنفذين العرب والإدارة البريطانية.

ثانياً: مال بعض الموقعين إلى العمل على "خلع السيد خليفة وإحلال أخيه (السيد على) مكانه".[٤٥]

موقف سالزبرى :

وقد اشار أيان سميث فى رسالته إلى الماركيز سالزبرى فى الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٨٩م إلى ما وصلت إليه هيبة السيد خليفة بن سعيد. مدعيا أن العرب لن يحركوا إصبعا أن أخذت السلطنة منه، وأن العرب فى كل من زنجبار وبمبا لا يعارضون استبدال السيد "خليفة" والذى سوف يوافق على أية ترتيبات توضع على أن توفر له ولعائلته الضروريات.[٤٦]

ومن المحتم علينا أن نوضح هنا ما ذكره "سميث" لا ينم عن الحقيقة البتة، إذ أشار "بورتال Portal" القائم بأعمال القنصلية البريطانية فى رسالة سرية إلى سالزبرى فى الثانى عشر من أغسطس عام ١٨٨٩م إلى اضطرابات حدثت فى زنجبار بسبب نشر ما أطلق عليه مؤامرة لإقصاء السيد "خليفة" وتعيين السيد "على" ، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن السواد الأعظم من العرب فى زنجبار يدينون بالولاء للسيد "خليفة"، وإلا لما قاموا بتلك الاضطرابات لو لم يكونوا مؤيدين له، أما الطبقة المتنفذة فتحاول أن تحمى مصالحها .[٤٧]

وقف الماركيز سالزبرى موقفا معارضا لمحاولات إيان سميث إقصاء السيد "خليفة"، وقد أثر موقف الماركيز سالزبرى على "سميث" حيث تراجع عن دعمه للمتنفذين العرب، بل إنه راح يذكرهم أن بريطانيا وألمانيا اعترفتا بالسيد "خليفة" سلطاناً، وانتهى "سميث" بأن السبيل للتخلص من التوتر هو بالتخلص من مستشاريه الذى واصل نعتهم "بالسيئين".[٤٨] وقد حصل القنصل البريطانى بالفعل على موافقة

الماركيز سالزبرى بإبعاد مستشارى السيد "خليفة".

السيد خليفة يعزل مستشاريه :

أدرك السيد خليفة أنه لا حول له ولا قوة، وحتى لا يعزل ويوضع مكانه السيد "على" شقيقه فقد انصاع للأمر الواقع وانحنى أمام العاصفة، ووافق على مضض منه على عزل مستشاريه، وكانت البداية مع بييرادفجى"، وهنا لابد من الإشارة إلى أن القنصل البريطانى لم يكن لوحده يثير مسألة مستشارى السيد خليفة بل دعمه فى مسعاه القنصل الألمانى، فلما لا وألمانيا وبريطانيا تعملان جنبا إلى جنب للسيطرة على أملاك سلطنة زنجبار العربية.

وقد قام "سميث" بالطلب إلى المجلس الذى عقد فى مارس ١٨٨٩م والذى خول القنصل البريطانى حق ترحيل أى بريطانى يكون مسلكه خطر على سلام زنجبار، وطبق هذا القرار على "بييرادفجى" بحجة أنه من الهنود رعايا بريطانيا، مع أنه فى حقيقة الأمر يعتبر من رعايا السلطان، ولكن القنصل البريطانى لم يكترث لاحتجاج المستشار وقد رحل "بييرادفجى" بالفعل إلى بومبى فى ٩ ابريل دون أن يتمكن حتى من تسوية أوضاعه المالية وأخذ حقوقه على الغير(٤٩)، وقد نجح "بييرادفجى" البانيانى الهندى وبتأثير وتدخل مباشر لمصلحته من "ماكينون" رئيس مجلس إدارة شركة شرق إفريقيا الامبراطورية البريطانية من العودة إلى زنجبار بعد ستة أشهر وتحديدا فى ديسمبر، وابتعد عن الحياة السياسية، وركز على أعماله التجارية، ويدل هذا الموقف دلالة واضحة على مدى تغلغل الهنود وتأثيرهم على متخذ القرار ودفاعهم المستميت عن حقوق ومصالح الجالية الهندية.

أدرك القنصل الألمانى أن عليه أن يعزز موقف القنصل البريطانى، وهذا يعبر بصدق عن تبادل الأدوار، ولهذا نجده يشير إلى أنه "واثقاً من أن المحرك للشعور العدائى للأوربيين هو "باقشم"، والذى وصفه بأنه "كان عنيفاً فى كراهيته التعصبية للكفرة الأجانب"، ولهذا أخذ يلح على السيد "خليفة" بإبعاد "اثيره العربى"(٥٠)، كما نجح التنسيق الألمانى البريطانى فى إبعاد "بييرادفجى" الهندى. فقد أصدرت الخارجية البريطانية تعليماتها إلى القنصل العام "بورتال" بأن يخبر السيد

"خليفة" أن الحكومة البريطانية تؤيد مطالب الحكومة الألمانية فى وجوب التخلص من "باقشم"، وانتهى الأمر فى ١٦أغسطس ١٨٨٩م بأن نفاه السيد خليفة إلى عدن.

وقد عمل السلطان جهده لإبقاء "باقشم" بعض الوقت لبيع أملاكه وتحصيل ديونه، ولكن "بورتل" القائم بأعمال القنصل البريطاني رفض الطلب، وأصر على أن يغادر دون تأخير [٥١]، وتم بالفعل ترحيل "باقشم" إلى عدن، ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن "باقشم" وعلى عكس ما حصل "لبيرادفجي" لم يجد من يضغط لإعادته. وهذا يعكس أيضاً تأثير الجالية الهندية ودفاعها عن مصالح أبنائها، كم إنه يدل على ازدواجية المعايير وتأثير القوى المحلية والأجنبية على متخذ القرار.

لقد أجبر السيد خليفه بن سعيد على ترحيل مستشاريه، وقد أغضبه موقف "سميث" للدرجة التى – عندما قرر "سميث" مغادرة زنجبار جعلته – يرفض مقابلة "سميث" فى ليلة سفره، كما بعث السيد "خليفة" برقية إلى "ماركيز سالزبرى نعت فيها "سميث" بأنه "عدوه" وراجيا عدم السماح له بالعودة إلى زنجبار. [٥٢]

عودة سميث

ومن المفارقات إنه عندما عاد أيان سميث فى أوائل ديسمبر إلى زنجبار فقد استقبله السيد "خليفة" بكل حفاوة وترحيب طالبا إليه طى صفحة الماضى، وقد استغل "سميث" هذه الحفاوة بأن عمل على مصالحة السيد "خليفة" مع بعض المتنفذين العرب من الذين كانوا مدعومين من قبل "سميث" نفسه. [٥٣]

علاقاته الخارجية

أرسل السيد "خليفة" عدداً من ممثليه العرب إلى كل من المملكة المتحدة وبرلين وباريس وفينا، وقد قابل أولئك الممثلون الملكة فكتوريا والقيصر ورئيس جمهورية فرنسا، وقد أهدى قيصر ألمانيا ساعة ثمينة مطلية بالذهب، وقد أثمرت تلك الزيارات الرسمية فى تعميق علاقات زنجبار فى العالم الخارجى [٥٤].

وفاة السيد خليفة

ولم يدم حكم السيد خليفة طويلاً، إذ توفى صباح الخميس ٢٣ جمادى

الثانية ١٣٠٧هـ الموافق ١٣ فبراير عام ١٨٩٠م في قصره الريفي في شوكوا الذي يبعد سبعة اميال عن زنجبار بصورة غير متوقعة إطلاقاً، وكان سبب الوفاة المفاجئة كما ذكر هو (ضربة شمس) تعرض لها حسب تقرير قدمه طبيب السلطان الهندي.

وتتلخص الوقائع في أن السيد خليفة قام بزيارة قصره الريفي للاستمتاع بالهواء الطلق، وكان في صحة جيدة. ولكنه ما لبث أن وقع بعد مضي بضعة أيام من تلك الزيارة صريع المرض (حمى شديدة) إثر عودته من رحلة قنص استغرقت ساعات قلائل ثم ما لبث أن مات متأثرا بضربة الشمس والحرارة، وهو في ريعان الشباب في السادسة والثلاثين من عمره، ومدة حكم السيد خليفة سنتان إلا أربعة وعشرين يوما.[٥٥]

وعلى ذلك لم يستمر حكمه سوى سنتين تقريباً. ولم يشع خبر وفاة السلطان لعدم توقعه، مما أعطى للقنصل البريطاني الذي أبلغ على عجل الوقت لتدارك أي حدث ولعمل ترتيبات للسيطرة على الموقف تحسباً لأي طارئ[٥٦].

الخاتمة :

اتفقت الحكومات البريطانية والألمانية على اختيار السيد خليفة بن سعيد سلطاناً على زنجبار، وكان يحدوهما الأمل فى استكمال ما حققاه من مصالح وتفكيك للسلطنة العربية، وقد عمل القنصل البريطانى جهده عند تنصيب السيد خليفة لإعطاء الانطباع بأن اختياره تم بناء على رغبة بريطانية لا رغبة شعبية، كما استغلت القنصلية الإيطالية فى زنجبار ظروف السلطنة العربية وطالبت السيد خليفة بالتنازل عن ولاية قسمايو. إلا أن جهود القنصلين الألمانى والبريطانى نجحتا فى معارضة المطالب الإيطالية وما يعنيه ذلك من إبعاد للنفوذ الإيطالى المنافس.

أقنعت الإدارة البريطانية فى زنجبار السيد خليفة بمنح شركة شرق إفريقية الامبراطورية البريطانية حق إدارة واستغلال معظم أملاكه فى شرق إفريقيا، كما ضغطت ونجحت الإدارة الألمانية فى منح شركة شرق افريقيا الألمانية استغلال الشريط الساحلى الممتد من أومبا إلى رفوما، وقد أدى استغلال وتسلط الألمان إلى اندلاع ثورة على الساحل. تلك الثورة التى تعاطف معها السيد خليفة إلا أن الألمان والإنجليز تعاونوا واشتركوا فى فرض حصار على الساحل، كما تمكن الألمان من القضاء على الثورة وما تلا ذلك من توقيع اتفاقية ١٨٨٩م. والتى كانت تهدف إلى الحد من الرق وتجارته.

استفاد القنصل البريطانى والألمانى من عزلة السيد خليفة وعدم ثقته بمن حوله سواء بأخيه السيد "على" أو بالمتنفذين العرب فى التدخل فى الشئون الداخلية لزنجبار متبعين سياسة فرق تسد وخلق فجوة بين الحاكم والمحكوم، بل إن القنصل البريطانى أجبر السيد "خليفة على وقف الإعدامات التى كان ينوى تنفيذها، كما نجحا فى التهديد بعزل السيد خليفة وشنا حملة شعواء للإساءة للمستشارين ونعتهما بالعديد من النعوت السلبية وتمكنا من الضغط على السيد خليفة وعزل مستشاريه الذين سعوا للحد من تدخل القنصل البريطانى.

لقد نجح الإنجليز والألمان باستخدام العديد من الوسائل والطرق فى فرض مصالحهم، ولم يكن أمام السيد خليفة الذى حاول جاهدا إعادة هيبة السلطنة إلا الانصياع، ولم يمهله القدر وتوفى فى فبراير ١٨٩٠، وهو فى ريعان شبابه.

الهوامش والمراجع :

١- لمـزيد مـن المعلومـات حول انفصال زنجبار عن مسقط انظر على سبيل المـثال : سلطان بن محمد القاسمي : تقسيم الإمبراطورية العمانية ١٨٥٦-١٨٦٢، دبـي : مؤسسة البيان، ١٩٨٩، جمال زكريا قاسم : دولة البوسعيد فى عمان وشرق افريقية، ١٧٤١-١٨٦١. القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٨.

٢- انظـر السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الأوربى، القاهرة . دار النهضـة العربية ، ١٩٦٨. جاد محمد طه : دور بريطانيا وألمانيا فى تفكـيك سـلطنة زنجبار " العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار. القاهرة : معهد البحوث والدارسات العربية، ١٩٧٧.

3- Great Britain. Public Record Office. Slave Trad. 1888-1892. Foreign Office. (hereafter cited as :F.O. F. O. 84 / 1906. Euan-Smith to Marques of Salisbury. Zanzibar. March 27. 1888.

يقال أن السيد خليفة من مواليد ١٨٥٢م وهو الابن السابع عشر من بين أبناء السـيد سعيد الاثنين وعشرين المعروفين . انظر Abdalla Saleh Farsi. Seyyid Said Bin Sultan . London. Lancers Book. 1986. p. 17.

4- Ibid.

٥- محمـد بـن خليفة توفى فى أول رجب ١٣٣٤ هـ - فبراير ١٩٠٦م. انظر ايضـا : سعيد بن على المغيرى . تحقيق عبد المنعم جهينة الأخبار فى تاريخ زنجـبار. سـلطنة عمان : وزارة التراث القومى ١٩٧٩. ص ٢٦٣ . انظر أيضـاً : F.B. PEARCE. Zinzibar the Island Metropolitan of Eastern Africa .London : T. Fisher . p. 270.

6- F.O. 84 / 1906 – No. 60. Euan – Smith to Marques of Salisbury.- Zanzibar April. 8.1888. See also. F.O. 84/1911. No.385 Smith to Marques of salibury. Zibzibar. DEC. 24. 1888.

- بنيان سعود تركى. الصراع على السلطة فى سلطنة زنجبار العربية فى

العقـــود الأخـــيرة مـــن القرن التاسع عشر الميلادى. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد ٥٠، ١٩٩٥، ص٥٦.

٧- المصـــدر السابق . انظر ايضاً Norman. R. Bennett . A Hsitory of the Arab of Zanzibar. p.136.

٨- المغـــيرى . ســعيد . مــرجع ســبق ذكره. ص ٢٦٣. Robert. N.L. Zanzibar in contemporary Times. London : Hurst and Balcket. 1905. p. 145.

٩- المغـــيرى. ســـعيد مرجع سبق ذكره. ص ٢٦٠. يذكر هولنجز وورث أن الســيد خــيفة وضــع رهن السجن ست سنوات فى حجرة تحت القصر والأصــح مـــا ذكــره المغـــيرى وهـــى ســنتين ثم الإقامة الجبرية L. Hollingsworth . Zinzibar Under the Foreign Office 1890-1913. London. Macmillan. 1953. P. F.O. 84 / 1906. F.B. Pearce. ZANZIBAR. Euan-Smith to Marques of Salisbury. DEC 24. 1888.

10- Bennet . N. Op. cit.. p. 138-9.

11- F.O. 84 / 1906 Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. April 8 1888.

Ibid.

.Lyne . R. Op. cit.. p. 145-146 – انظر ايضا

12-Bennett.N. Op.cit.. p. 161.

13-F.O. 84 / 1906 no. 39. Euan –Smith to Marquez of Salisbury . Zanzibar. March. 27. 1888.

Ibid. انظرLyne, R. Zanzibar . p. 146.

14- F.O. 84 / 1906 . no. 39. Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. March 27. 1888.

15-

16- F.O. 84 / 1911. No.385. Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. Dec. 24. 1888.

١٧- المغيرى ، سعيد مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٣.

18- F.O. 84 / 1907 Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. June 4 1888.

19- Ibid.

20- F.O. 84 / 1907 Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. June 25 1888.

21- F.O. 84 / 1908 Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. August 17 1888.

22- Ibid.

23- Ibid.

24- Ibid.

25- F.O. 84 / 1912 Smith. Obtobar 11 1888. المغيرى ، سعيد ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٣

Bennett . N. A History of the Arab State of Zinzibar, p. انظر

26- F.O. 84 / 1911 no. 376.Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. Dec 26 1888.

27- Bennett. No. Op. cit.. p. 147.

28- F.O. 84 1980. No.328. Portal to marques of Salisbury. Zinzibar. September 23. 1889. Imgram: W. H. Zanizibar its history and its people : London : Frank Cass. 1967. P. 172. F.O. 84/ 1980. Memorandum by colonel Euan –Smith on the Suppression of the Slave Trad. in East Africa.

29- F.O. 84 / 1980 . no. 328. Portal to marques of Salisbury Zanzibar. Sep.. 23. 1889. 84/ 1977. Euan – Smith to marques of Saliabury. Zanzibar. Feb. 14. 1890.

حـول دور البـنود المباشر وغير المباشر فى تجارة الرقيق انظر : بنيان تركى. الجالـية الهـندية فـى شـرق افريقـية بيـن هامـرتون والسـيد سـعيد (١٨٣٢-١٨٥٦). المؤرخ المصرى. العدد ١٣. ١٩٩٤.

30- F.O. 84 / 1977. No.113. Euan Smith to Marquez of Salisbury . Zinzibar. Feb. 25 1889.

31- F.O. 84 / 1974. No.277. Marques of salisbury to Portal . F.O. August. 14. 1889.

٣٢- المغـــيري ، سعيد ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٣. F.O. 84/ 1911. No.
376. Eaun Smith to Marques of Salisbury. Zanzibar. Dec., 16, 1888.

33- F.O. 84 / 1980. Portal to Marquez of Salisbury Zinzibar August. 21. 1889.

34- F.O. 84/ 1911 no. 385. Zanzibar. Euan – Smith to Marquez of Salisbury. Dec. 24. Farsi. Abdalla. Sayyid Said Bin Sultan. P.17.

35- Pearce, F. Zinzibar. p. 270.

36- F.O. 84.1911. Zinzibar Dec. 24, 1888. Feb. 28. 188.

37- FO. 84/ 1905/ Euan Smith to Marques of Salisbury. Dec. 20. 1888.

38- Fo 84/ 1905/ Euan Smith to Marques of Salisbury. Dec. 24 188.

39- Ibid.

40- F.O. 84/ 1910 . no. 311. Euan Smith to Marquez of Salisbury. Zanzibar . october 22. 1888. F.O. 84/ 1977. No. 113. Euan Smith to Marques of Salisbury Zanzibar. Feb.25. 1889. F.O. 84 1977. Euan- Smith to Marques of Salisbury Zanzibar . Feb. 28. 1889.

41- Beenett. N. Op. cit.. p. 147.

42- F.O. 84/ 1910 . no. 311. Euan Smith to Marquez of Salisbury. Zanzibar . october 22. 1888

F.O. 84/ 1977 . no. 311. Euan Smith to Marquez of Salisbury. Zanzibar . Feb. 28. 1889.

43- Ibid.

44- Ibid.

45. Ibid.

46- F.O. 84/ 1977. No. 133. Zanzibar Feb, 25. 1889.

47- F.O. 84 / 1980. No. 300. Portal to Marques of salisbury. Zanzibar August 12, 1889.

48- F.O.84/ 1977.no 140. Euan Smith to Marquez of Salibury.

Zanzibar, March. 11, 1889.

49 - F.O.84/ 1977. Euan Smith to Marquez of Salibury. Zanzibar, March. 11, 1889.

50 -F.O.84/ no. 311. Portatl to Marques to Salisbury. Zanzibar, August, 19, 1889

51- Ibid.

52- F.O. 84 / 1980. No.277. Marques of Salisbury to Portal. F.O. October 14, 1889.

53- F.O. 1984. Euan – Smith to Marques of Salisbury . Zanzibar. Dec. 8. 1889. F.O. 84/ 2059. No. 8. Eaun – Smith to Marques of Salisbury. Zanzibar. January 9. 1890.

54- Pearce. F. Zanzibar. P.270.

55- Zanzibar. Feb. 14. 1890. F.O. 84/ 2059 no.59. Marques of Salisbury.

٥٦- Ibid. انظر ايضا المغيرى ، سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٣.